

الدُّعاء سلاح لدفع البلاء



لمّا كان الإنسان عين الفقر والفاقة وبما أنّه فُطر على أساس الطلب والحاجة إلى خالقه فهو قد فُطر على الدُّعاء.. فالدُّعاء هو الالتجاء إلى الله تعالى وطلب سدّ النقائص وقضاء الحاجات منه. وفي الواقع إنّ هذه الحالة من التوجّه إلى الله واستمداد العون منه من خلال الدُّعاء غير مختصّة بالمؤمنين فقط بل حتى غير المؤمنين لا يخلون البتّة من هذه الحالة وإن أنكروها، فهم يختبروها عندما يقعون في شدّة وتتقطّع بهم الأسباب ويزول كلّ ملجأ، عندها تتعلّق آمالهم به سبحانه تعالى وهذا ما أشارت إليه الآية الشريفة: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَاللَّيْلَ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَالْجَارِ يُدْرِيكُمْ فِي الْفُلِ أَن يَهْتَمُّ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا إِلَىٰ مُخْلِصِينَ لَهُ دَرَجَاتٍ لَّئِن لَّا تُجِيبْتَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَذْكُرَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (يونس/ 22). فعندما أوشك هؤلاء على الغرق والهلاك توجّهوا بحسب فطرتهم بالدُّعاء إلى الله تعالى مسبّب الأسباب، وطلبوا منه النجاة.

فمنشأ الدُّعاء لدى الإنسان هو ضعفه واحتياجه الدائم للذات لا ينفك عنه. وبمقدار ما يلتفت

الإنسان إلى ضعفه ونقصه وحاجته يندفع إلى الدُّعاء مستمدًّا العون والقدرة والغنى من مالها بشكلٍ مطلق وهو □ تقدُّست أسماؤه. فما لم يلتفت الإنسان إلى عجزه وضعفه وضعف سائر المخلوقات من حوله لن يعلِّق آماله على ربِّ الأرباب ويقصر طلب حاجاته عليه، فالاعتراف بالعجز مقدِّمة أساسية للدُّعاء.. والدُّعاء واحدٌ من أجمل وأرقى التعابير عن العلاقة بين العبد ومولاه عزَّ وجلَّ، فعندما يدعو الإنسان ربَّه فهو يعبِّر عن عبوديته له تعالى ويعلن الخضوع أمامه والتسليم لقدرته. فعن الإمام الصادق (عليه السلام): «الدُّعاء استجابة الكلِّ منك للحقِّ، وتذويب المهجة في مشاهدة الربِّ، وترك الاختيار جميعاً وتسليم الأُمور كلها ظاهراً وباطناً إلى □ تعالى». لذا جعل □ تعالى الدُّعاء عبادةً ووسيلةً شريفةً للاتصال والارتباط به كما أخبر بذلك إمامنا الصادق (عليه السلام) حيث قال: «ادعُ ولا تفل قد فرغ من الأمر، فإنَّ الدُّعاء هو العبادة، إنَّ □ عزَّ وجلَّ يقول: (إِنَّ السَّادِّينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَاتِي سَيَذَخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) □.

بل ومن أفضل العبادات أيضاً، فقد سُئِل الإمام الباقر (عليه السلام): أي العبادة أفضل؟ فقال (عليه السلام): «ما من شيء أفضل عند □ عزَّ وجلَّ من أن يُسأل ويطلب ممَّا عنده، وما أحد أبغض إلى □ عزَّ وجلَّ ممَّن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده». وطالما أنَّ الإنسان في هذه الدُّنيا فإِنَّه لا يخلو من حالة نقصٍ وعوزٍ يحتاج معها إلى استمداد العون من □ تعالى، وهنا لا يملك إلا الدُّعاء الذي فيه مفاتيح الفلاح وقضاء الحاجات المعنوية والمادِّية على حدِّ سواء. فهو سلاح الأنبياء الذي ينجي من الأعداء ويغسل الذنوب ويورث الطمأنينة والسكينة ويدفع البلاء ويدرُّ الأرزاق وفيه الشفاء من كلِّ داء. فعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: «عليكم بسلاح الأنبياء، فقل: وما سلاح الأنبياء؟ قال: الدُّعاء». وعن النبي الأكرم (صلى □ عليه وآله وسلم) قال: «ألا أدلُّكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرُّ أرزاقكم؟ قالوا: بلى، قال: تدعون ربَّكم بالليل والنهار، فإنَّ سلاح المؤمن الدُّعاء». وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «عليك بالدُّعاء فإنَّه شفاء من كلِّ داء». وعن الإمام الرضا (عليه السلام): «الدُّعاء يدفع البلاء النازل وما لم ينزل».